شرح العقيدة النصرانيّة

لبولس الراهب اسقف صيداء الانطاكيّ

عني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

المقدمة

يذكر القرّاء ما نشرناه في المشرق سابقًا عن هذا الكتاب الجليل (المشرق ١ : ٨٤٠ و ٤ : ٩٦١ و ٧ : ٢٧٢ ؛ ٧٠٣) الذي استحقّ بمقالاته اللاهوتيّة والفلسفيّة ان يُنظم في جملة ائمّة الكتبة الكنسيين . والطرفة التي تتولى نشرها في هذا العدد تشبه الكتابات السابقة بحسن معانيها وسلاسة عبارتها وتزّة حججها وقد نقلناها عن ثلث نسخ خطيّة قابلنا بين رواياتها تكرّم علينا بالاولى جناب صاحب الفضل حنّا افندي عمورا وبالثانية حضرة الخوري المحترم الاب قسطنطين بلشا الراهب الحلبي وهي مكتوبة منذ سنة ١٦٦٦ م اما الثالثة فهي في مجموع قديم في مكتبتنا الشرقيّة سبق لنا وصفهُ في المشرق (٧ : ٢٧٢) وردت هذه المقالة فيه من الصفحة ٦٤ الى ١١٢

بسم الآب والابن وروح القدس الاله الواحد

امّا بعد فانهُ لمّا كنّا معشر النصارى في الكفر بالله العظيم منهمكين . وعمّا يهواهُ معرضين . وعلى ما لا يُرضيهِ مقبلين . والى ما يغضبهُ مبادرين . متنافس في السيّئات العظيمات . ونبتدع الخطايا القبيحات . لا نفكر بالفوز بالنعيم . ولا نتوقّى العذاب الاليم . ولا نخشى تخليد الجحيم . حينئذٍ شاء الله تقدّست اسماؤهُ . وجلّت آلاؤهُ . ان يتناشنا من الورطات . ويقيلنا العثرات . ويهدينا الى ما بهِ نصل الى ملكوت السماوات . وذلك رحمةً منهُ لنا وتعطّفًا علينا وابتغاء لخلاصنا من ايدي ابليس عدوّنا

فارسل الحواريين الاطهار الينا مبشّرين في الارض باسرها صادرين الى شرقها وغربها مخاطبين لأسود الخلق وأحمره يتلون على كلّ امة التورية والانجيل بلسانها لا يطلبون من احد مالًا ولا يرغبون في شيءٍ من امور الدنيا وزخرفها وهم مع ذلك قليلون ضعفاء مساكين لا عدد معهم ولا مال ولا قوّة غالبة ولا رجال فعجبنا من امورهم وسألناهم عن حالهم وسبب ورودهم

فقالوا انّ الله تعالى ارسلنا اليكم لينقذكم من الكفر والطغيان وننهاكم عن النفاق

والعصيان . ونصدّكم عن عبادة العناصر والكواكب والاصنام ونحذركم من عذاب الآخرة في الجحيم بالنيران . فجزيناهم خيراً وقلنا اذا كان عن معبودات آبائنا تنهونا فالى ماذا تدعونا ؟

قالوا ندعوكم الى عبادة الله الاله الواحد الذي لا اله الّا هو وحده لا شريك لهُ في الربوبيّة ولا مثيل لهُ في الالهيّة ولا نظير في الازليّة ولا ضدٌّ يقاومهُ ولا يدٌ تنازعهُ غير ذي جسم وغير مركّب ولا مؤلّف وغير محسوس وغير متجزّئ وغير متبعّض وغير مدرك لا يقبل عرضاً ولا يشغل حيّزاً ولا يحويهِ مكان ولا يحصرهُ زمان اوّل بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء خفيّ في ذاتهِ ظاهرٌ في افعالهِ محدث كل شيْ بلا بطش ولا حواسّ ومنشئ كل الموجودات من غير مادّة ولا آلة ولا جوارح عالم الاشياء قبل كونها وعارف السرائر قبل إضمارها خالق حيٌّ حكيم خلق الدنيا كما شاء لما يشاء وفيها اذا شاء كما يشاء ثمّ يأذن بالبعث والنشور ويحيي مَن في القبور ويجازي الاخيار باتصالهم الى النعيم الدائم وينتقم من الاشرار بتخليدهم الجحيم . اله واحد رب واحد خالق واحد لا اله قبلهُ ولا بعده ولا ربّ الّا هو ولا خالق سواه وهذا الاله الذي هذه اوصافهُ فهو جوهر واحد ثلثة اقانيم اب وابن وروح قدس

فنفرنا من هذه الاسماء وانكر فلاسفتنا ومتكلمونا عليهم ذلك وقالوا كيف يمكن ان يكون واحد ثلثةً وثلثة واحداً ؟ وكيف يجوز ان يكون ابًا وابناً معاً اذ الاب ضرورة يتقدّم الابن ؟ وكيف يستقيم ان يكون ابن بغير تناسل ومباضعة ؟ هذا ممّا يخالف العقول وينافي القول الذي ابتدأتم بهِ في التوحيد

قالوا لا تنفروا من قولنا ولا تظنّوا بنا ظنوناً تخالف رأينا ليس الامر على ما تتوهّمون ولا الحال على ما تظنّون لكن يجب ان تعلموا ان الابوّة والبنوّة قد تكون على وجهين : فمنها بنوّة كثيفة بتناسل ومباضعة وتقدّم الاب على الابن وتأخر الابن عن الاب مثل ما انتم من ابائكم وابناؤكم منكم . ومنها ولادة لطيفة بغير مباضعة ولا تناسل ولا تقدّم ولا تأخر وذلك مثل ولادة العقل للنطق وولادة قرص الشمس للضوْ وما يجري هذا المجرى . فاذا كانت هذه الولادة في المخلوقات على هذه الصفة في اللطف نفي خالق اللطائف والكثائف الطف والطف وانّما اوردنا ذلك من حيث تعلمونهُ وخاطبناكم بهِ من حيث تفهمونهُ

فأنسنا الى كل قولهم واقررنا به لهم وقلنا: فأوضحوا لنا كيف تكون الثلثة واحدًا والواحد ثلثة؟ قالوا: انّا ليس نقول انهُ تعالى ثلثة بمعنى ما هو واحد ولا واحد بمعنى ما هو ثلثة بل هو جلّت قدرتهُ ثلثة في معنًى وواحدٌ في معنًى. وذلك كما يقال قرص الشمس وضوء الشمس وسخونة الشمس فهي من حيث الجوهر شمس واحدة ومن حيث الخواصّ ثلثة. وكما يقال عقل الانسان ونطق الانسان وحياة الانسان فالانسان واحد والخواصّ ثلثة وكما يقال لهيب النار وضوء النار وحرارة النار فالثلاث صفاتُ نار واحدة وليست ثلاث نيران

كذلك نقول الاب والابن والروح القدس الاله واحد وليس ثلثة الهة. ومع هذا فكل واحد من هذه الاقانيم الثلثة اذا رُكّب على انفراد من القنومين الآخرين كان انًا تامًا والثلثة اله واحد. ومثل ذلك مثل انسان اخذ سبيكة ذهب فعمل منها خاتمًا وسوارًا ودملجًا فالخاتم والسوار والدملج من حيث الجوهر واحد ومن حيث الاعيان ثلثة وكل واحد من الاعيان الثلثة قطعة ذهب تامّ والثلث القطع ذهب واحد لانّ التثنية والتكثير لا يقعان على الجوهر بل على الاعيان

فسررنا بما اوردوه لنا واغتبطنا بما اوضحوه لنا لعلمنا انهُ اذا كان هذا المجرى يجري فيما يتبعّض ويتجزّأ فمما لا يتبعّض ولا يتجزّأ اكثر واعظم. غير انّا انكرنا عليهم قولهم جوهرًا وقلنا لهم: انكم قد ذكرتم في ابتداء القول انهُ لا يقبل عرضًا ولا يشغل حيزًا والجوهر هو الذي يقبل الاعراض ويشغل المكان. قالوا: ان الذي يقبل عرضًا ويشغل حيزًا الجوهر الكثيف فامّا الجوهر اللطيف مثل النفس والعقل والضوء وما يجري مجراها فلا يقبل عرضًا ولا يشغل حيزًا. واذا كانت الجواهر اللطائف تجري هذا المجرى فخالق الجواهر الطف

قلنا: فلمَ سمّيتموه جوهرًا. قالوا: لانهُ ليس في الموجودات شيء الّا وهو امّا جوهر واما عرض فالجوهر القائم بذاته الغير مفتقر في الوجود الى غيره والعرض لا يقوم بذاته ولا يوجد الّا في غيره ولمّا كان الجوهر اشرف قلنا جوهرًا لتوضح انهُ قائم بذاته غير مفتقر في الوجود الى غيره. ومع هذا فنقول « انهُ جوهر لا كالجواهر المخلوقة » اذ هو الخالق للجواهر اللطيفة والكثيفة كما نقول « انهُ شيء لا كالاشياء المخلوقة » لانّا لما رأينا

حدوث الاشياء علمنا انَّ شيئاً غيرها احدثها اذ لا يمكن حدوثها من ذوات انفسها لما فيها من التضادّ فقلنا شيئاً لننفي العدم عنهُ

ثم لما رأينا الشيء ينقسم قسمين شيء حيّ وشيء غير حيّ وعلمنا ان الحيّ افضل من غير الحيّ وصفناهُ تعالى حيّاً لننفي عنهُ الموتانيَّة. ورأينا الحيّ ينقسم قسمين حيّ ناطق وحيّ غير ناطق فوصفناهُ باجلّ الاسمين فقلنا ناطقاً لننفي الجهل عنهُ ولانَّ الناطق افضل من الصامت. وهذه هي الثلثة الاقانيم التي تقدَّم ذكرها فالشيء الاب الذي هو الذات والنطق الابن والحياة الروح القدس وهذا ما زادنا بهِ تصحيح القول بانهُ تعالى شيء حيّ ناطق. ومع هذا فانتم الفلاسفة تقولون علّة ومعلولاً وتوجبون انَّ العلّة هي ما اوجبت حكماً ما من غير ان يكون لها في ذلك الحكم فعل ارادي والحكم مقتضى العلة وموجبها وكذلك يجب ان يكون كونهما قديماً فهاذان المعلولان للعلة الاولى لا تقدُّم فيهما ولا تأخر وليس العالم معلّلاً للعلة الاولى لانَّ تضادّه يوجب حدوثهُ والحدث فليس معلّلاً للعلّة الاولى بل هي علة فاعلة وصانعة لهُ

قلنا: افهذا الاله الحق الحي الناطق هو سميع بصير قادر جواد كريم رحمان ام لا. قالوا: هو كما ذكرتم واكثر من ذلك. قلنا: فاضيفوا كل واحدة من هذه الصفات الى الثلث التي ذكرتموها فتكون عشرين وثلثين صفة واكثر من ذلك. قالوا: ان هذه الصفات ليست تجري مجرى الحياة والنطق لانَّ هذه ايّ صفة ذكرتَ منها جزّت معها جوهراً آخر مثل « سميع » فقد جزّت معها المسموع منهُ « وقادر » المقدور عليهِ « ورحمان » المرحوم وما يجري هذا المجرى. فاما شيء حيّ ناطق فما يجرّ احدهما معهُ بوصفهِ جوهراً آخر غير جوهر الباري تعالى اذ هي صفات جوهرية ولانهُ لا يكون شيء مما وُصف الّا حيّاً ناطقاً

قلنا: انَّ الصفات اعراض وانتم فقد جعلتموها اعياناً والاعيان هي جواهر. قالوا: انَّ الصفات اعراض في الجواهر الكثيفة فاما الجواهر اللطيفة فليست اعراضاً بل قوىً لانَّا اذا قلنا « الشمس » قلنا جوهراً واذا قلنا « ضوء الشمس » فليس عرضاً بل قوّة من قوى الجوهر مما يقيم ذات الشيء وما يقيم ذات الشيء لا يقال لهُ عرض بل قوة من قوى الجوهر مما يقيم ذات الشيء وانتم فقد تقولون انَّ العرض هو الشيء الحالّ في الشيء ويجوز زوالهُ وبزواله عنهُ لا تنفسد الذات الحاملة لهُ وكلٌّ يعلم انَّ الشمس لو زال

منها ضوءها لما كانت شمساً فكذلك النار لو زالت حرارتها لما كانت ناراً والماء لو زالت رطوبته لما كان ماء. وانما الصفات اعراض في الجواهر الكثيفة قائماً في اللطائف فقوى من قوى الجوهر مما يقيم ذات الشيء قائماً في الباري تعالى فأعيان وهي الاقانيم لعاره تعالى عن ان تكون صفاته الذاتية كصفات المخلوقين منهُ اللطائف منهم والكثائف. فاننا انَّ ورثنا ما ذكره الرسل الاطهار بميزان العقل الذي هو اصحُّ من المحكّ والمعيار علمنا انهُ قول الحقّ الذي لا عيب فيهِ فسجدنا لله الواحد الموحد بالجوهر المثلث بالاقانيم الاب والابن والروح القدس

ثمَّ لمَّا تصفَّحنا الانجيل الذي سلموهُ الى كل امَّةٍ بلسانها فوجدنا فيهِ ما ينافي العقول وذلك انَّ في موضع يقول انَّ المسيح ابن الله وفي موضع آخر انهُ انسانٌ ويخبر عنهُ بافعال بشريَّات ويصفهُ بصفات الهيَّات ومعجزاتٍ عظيمات فعجبنا اذ رأينا الشيء وضدَّه وسألنا الرسل الاطهار عن ذلك. فقالوا: قد اخبرناكم انَّ الله تعالى واحدٌ بالذات مثلثٌ بالصفات وانهُ اب وابن وروح قدس وان ابنهُ نطقهُ والروح القدس حياتهُ وأقمنا لكم على ذلك دلائلَ عقليَّة وبراهين منطقيَّة والان فيجب ان تعلموا انَّ الله تعالى في اخر الزمان جاد على خلقهِ فارسل كلمتهُ اي نطقهُ من غير انفصال منهُ ولا تجزّئ كما يرسل احدكم كتاباً الى بلدةٍ بعيدة مضمَّن كلاماً مولوداً من عقلهِ من غير انفصال بين العقل الوالد للنطق وكما يرسل قرصُ الشمس الضوءَ على الارض من غير مباينة بين القرص الوالد والضوء المولود

وكذلك ارسل الله نطقهُ من غير انفصال منهُ ولا تجزّئ متجسماً من السيدة مارتمريم العذراء الطاهرة ليطهر جبلة آدم المتدنسة بالخطايا والآثام ويرفعها بعد الانحطاط ويعليها الى اجلّ الدرجات. فمن حيث هو كلمة الله هو قديم ازلي ومن حيث هو ابن مريم هو محدث زمني ففعل المعجزات بالطبيعة الالهيَّة. فلا تنكرون ذلك لانكم قد ترون قطعة الحديد اذا هي أُحميت بالنار كانت من حيث النار تضيء وتحرق ومن حيث الحديد تقبل الشجّ والقطع ولا يدخل على النار التي هي طبيعة لطيفة شيء مما يدخل على الحديد الذي هو طبيعة كثيفة. والقطعة واحدة جامعة لطبيعتين وعلى هذا القياس والطف يا لا يُحَدّ ولا يُدرك كان العجز والعجز من السيد المسيح يسوع ابن الله الذي لم يأنف ان يتَّخذ طريقة بشريَّة يظهر فيها قدرتهُ

قلنا: فقد ذكرتم في ابتداء القول انَّ الثلثة اقانيم لا تتبعّض ولا تتجزأ فكيف يجوز ان يصير احد الثلثة اقانيم انساناً دون الاقنومين الآخرين قالوا: اما ترون النار اذا ما هي اوقدت تحت الماء كيف تتَّحد الحرارة بالماء دون الضياء من غير انفصال من الحرارة والضياء كذلك الانسان الذي يكتب كتاباً الى بلدةٍ بعيدة كيف يصير اللفظ كتاباً من غير انفصال من العقل. كذلك والطف بما لا يوصف صير احد اقانيم اللاهوت الذي هو الابن الازلي انساناً بغير انتقال عن لاهوتهِ ولا انفصال من الاب والابن والروح القدس

قلنا: فقد كان قادراً ان يخلص البشر من عدوهم ابليس من غير ان يتجسَّم كما هو مكتوب في الانجيل من ولودهِ ونموّهِ والهِ وصلبهِ. قالوا: انَّ الله جواد والجواد فان لم يَجُدْ باجلّ الموجودات والّا فليس هو جواد ولمّا لم يكن في الموجودات اجلّ من كلمتهِ جاد بها على خلقهِ وليُكلم بالعدل ابليس المحَال لانَّه يقول « اني قهرت انساناً وقهرني اله » فلهذا السبب تجسَّم ليكون قد جاد باجلّ الموجودات ولكي تكون الطبيعة التي غلبها ابليس واستعبدها بها يُقهر ويعلّم الناس التواضع والتسكن والصبر على الامور التي يكرهها البشريون بالفعل لا بالقول فقط

فقلنا: فلايّ حال لم يدفع عن ذاتهِ الالم والصلب. قالوا: اراد بهذا ان يمكّن عندنا نحن تلاميذهُ انهُ اله وانسان والّا فكنّا نقول انهُ اله وليس انسان فنكون مبطلين وليس مصادقين فلا يكون على ايدينا معجزة ولا آية. فقلنا: فكأنكم تفعلون آيات ومعجزات. قالوا: نعم وذلك ليس بقدرتنا بل بقدرة الذي ارسلنا السيد يسوع المسيح ابن الله. فقدَّمنا اليهم موتى فقسيتهم الاب والابن والروح القدس عادوا احياء. وعمياناً فابصروا. ومخلّعين فنهضوا. وبرصاً فتنقوا. فصحَّ عندنا ما وعدهم بهِ السيد المسيح في انجيلهِ المقدَّس وذلك قولهُ: « انَّ من يأمن بي يعمل اكثر من اعمالي » وتحقَّقنا انَّ الهُ وصليبهُ مكّن في قلوب المؤمنين بهِ قيامتهُ وعلمنا صدق التلاميذ الاطهار فيما دعونا اليهِ لما رأيناهُ من زهدهم وتيقّنا انَّ المعجزات لا تكون على ايدي رسل مبطلين

غير انّا سألناهم قائلين: انكم قد اوضحتم لنا انَّ المسيح اله وانسان فاذا نحن عبدناه فنكون قد اشركنا في العبادة لله انساناً ذا رأس واضراس. قالوا: ليس الامر على ما تظنُّون ولا العبادة للطبيعة البشريَّة كما تتخيّلون بل العبادة والسجود لله الواحد

بالذات المثلث بالصفات وانما عبادتنا اقنوم المسيح الذي هو احد اقانيم الله الجامع بلا افتراق لطبيعتين طبيعة الهية وطبيعة بشرية ومع هذا فالذين كانوا يعبدون النار وقد انتقلوا عن عبادتها يوضحون لكم ذلك لانهم الان منكم

فسألناهم هل كانت عبادتكم للنار والحطب ام للنار دون الحطب. فقالوا: انَّ عبادتنا كانت للنار ولكن لاتحادها بالحطب ولكونهما جمرة واحدة كنَّا نجلها وليس العبادة للحطب. ومثل ذلك مثل من يقبل كتاب الملك بالتقبيل لما فيه ويبجل الكتاب لاتحاد لفظ الملك به. وأما تعلمون انه اذا دخل انسان على ملك لابس ثوبًا من قزّ او كتّان هل يقول: لا اسجد للملك لئلا اشرك سجودي للملك بثوبه كلَّا بل يسجد ويحرص ان يصل الى طرف اكمه ليقبله فالسجود والتقبيل للملك لا للثوب واكرامُ الثوب لانهُ ملبوس الملك. فلمَّا سمعنا هذه الاحتجاجات العقليَّة والبراهين المنطقيَّة آمنَّا واعتمدنا باسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد الموحد جوهره المثلثة اقانيمهُ وتبعنا اوامر الرسل القديسين وهدمنا هياكل الاصنام وجعلناها بيعًا يُذكر فيها اسم الله الذي لهُ المجد والاكرام والحمد والاعظام من الآن والى ابد الابدين امين (لهُ بقيَّة)

المجامع المارونيَّة

امم ينشرها حضرة الاستاذ الفاضل رشيد افندي الخوري الشرتوني
مدرّس الخطابة في كليتنا وغرر جريدة البشير
(تتمَّة مجمع غوسطا)

حاشية على الجلسة

في اليوم التاسع عشر من ايلول قد ترجموا الآباء مع قدسه والقاصد الرسولي لجناز المرحوم المطران جرمانس لاجل ذلك في هذا اليوم ما امكنهم يجلسوا في المجمع

من جهة حضرة المطران اطون ارسل جواب للمجمع الذي كانوا ارسلوا لهُ اياه مع القس موسى بانهُ امَّا يحضر امَّا يرسل وكالة شرعيَّة كما مرَّ القول اعلاه وهذا جوابه كلمة فكلمة

قدس الاخوان المحترمين دام برهم امين

اولًا مزيد كثرة الاشواق الى مشاهدة خوتكم وتقبيل ايديكم في كل خير وسلامة. والثاني